

الفن المصرى القديم

- ١ -

نمير:

تولف الكتب ، وتجير الاوراق ، يتبارى فى اخراجها ابناء الامة ذات الفن أو التاريخ . ومصر ، أم التاريخ ، التى نهل منها جميع الوجود ، ومصدر الفن ، الذى غذى بنعمته ونوره العالم من مبدأ الحياة . مصر ، التى هى البقعة الوحيدة التى هبط عليها طائر الفن الجليل ، ونزل على أرضها بوحى العظمة والعرفان ، أفقر الأمم جميعاً اعزازاً لنفسها وتاريخها .

وكم مجهود من مجهودات المصريين الحاضرين بذل فى سبيل تحقيق تلك الغاية وتمجيدها ؟ وكم هو عدد المؤلفات التى وضعتها أيد مصرية عن الفن المصرى القديم ؟ وهذه جهود الافرنج تملأ مصر بحثاً ودرسا ، وتنشأ أرضها تنقياً واثباتاً . ثم هذه مؤلفاتهم عن الآثار المصرية وما فيها من فن وقدره وجمال تفعمر الدنيا جميعاً . بل إن فى متحننا المصرى وحده مكتبة تجمع نحو تسعة عشر ألفاً من بعض الكتب التى وضعت بلغات مختلفة عن آثار مصر . الاجانب هنا وهناك ، هم الذين يأخذون وحدهم بشئون تاريخنا . وهم الجادون فى دراسة حضارتنا القديمة ، يشرون ببحوثهم فيها على العالم ما كان لمصر فى التاريخ القديم من فضل . ونحن ، نحن الذين كنا أولى من غيرنا بتلك الدعاية ، وأجدر من كل الناس دراسة آثارنا وأخذاً بعالم تاريخنا ، لا نتقدم الى الميدان بأقصر يد . ولا تنهض للاعزاز بمجدنا بأيسر حال .

أليس هذا من بوائع الأسف ؟ ثم البست حالنا فى ذلك أدعى الى النقد والسخرية ؟

نعم هناك بعض جهود مصرية ، لا تنكرها . وبعض أباد وطنية ، على التاريخ المصرى ، لا يجب أن نجهد فضلها . ولكنها بضعة ضئيلة . أملاً أن تجسم وتضاعف ، حتى تفيض على الناس خيراً .

ولعلنا جميعاً ، نوقن فى أنفسنا بأننا مهما بذلنا فى خدمة وطننا الجهود ، ومهما ملأنا الأرض جداً وسعياً ، ووصلنا أركان القطر ذكرىات وآثاراً ، فلن نبلغ الى غاية الخلود والعظمة ما بلغ أجدادنا المصريون القدماء ، الذين بهروا العالم إعجاباً وإعجازاً

ولقد تفخر بهم ، ونعتز بمخلفاتهم ، ونشير اليهم كلما أعوزتنا الحقيقة الى اثبات شخصيتنا ، وأخذتنا النشوة بالثقة . تفخر بهم ، وتحدث بمجدهم ، ولا ننجل من انفسنا أن لا يكون لنا ، نحن ابناء الحاضر ، فى ذلك فضل . بل تقف موقف التراب الذى ليس ريش الطاووس فساكن ذلك يرفعه عن أن يظل غريباً . . .

أولئك الاجداد العظام الناهيون ، لهم علينا ذمة ، ما أخرى بنا أن نقي دينها ، ونؤدى حقوقها . فهم لم يتركوا لنا ما تركوا ليزمونا التفخر بهم جزافاً ، ونحن قصود . ولكن لنكون جديرين بأن نرت عنهم ذلك المجد ، وبررة بحميل ذلك التراث الموهوب فبذلوا لعمل جميعاً لوصل حلقات هذه العظمة ، واضعين نصب أعيننا دائماً هذه العبارة الخالدة

إن سئلنا ما تركنا بدمهم ماذا نجيب ؟

مصر العربيات

كان فريق من علماء الغرب يفسبون الاسبقية فى تاريخ الفن الجليل الى الاغريق . وانها المصدر الذى تدرجت عنه ثقافات البشر وتساكن يعترفون بفضل لمصر .

وبالرغم من أن البحوث الأثرية والاستكشافات قد نشرت على الافكار . نورا بأن الاغريق انما أخذت قسطاً كبيراً من ثقافتها عن مصر التى سبقت حضارتها حضارة الاغريق بأكثر من ثلاثة آلاف عام ، فان بعض آراء المتعنتين نحو مصر ظلت الى حين ، على نكران فضل مصر وعدم اقتباس الامم عنها .

وقد يكفى ان ندلل على ذلك بتلك الكلمة الزهية التى انصف

بها مصر « السير دنيسون روس » (Sir E. Denison Ross)

مدير مدرسة العلوم الشرقية بالانجلترا ، فى الكتاب الذى قدمه علماء

الانجليز الى حضرة صاحب الجلالة فراد الاول ملك مصر ، باسم

« الفن المصرى فى جميع العصور » (The art of Egypt Through

The Ages) والى دحض بها تلك الآراء القتيقة . حيث قال :

« مصر هى مهد الفنون . ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى

حتى يومنا هذا ، لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول للفنون على

الحس والتخمين . وكلما زدنا علماً بأعمالها الجليلة تبين لنا ما تبين

به الفنون المتأخرة لمصر ، وزاد جلاء . فخذ مثلاً الابحاث الاخيرة

التي جرت فى صقارة ، فأنها أثبتت نهائياً أن للعمود المزمارى

(الذى يشبه الناي أو المزمار) Fluted- Column انما تطور

مقدمة الاعاصير

للشاعر القروى رشيد الخورى

نزىل البرازيل

تعليق

كانت نفسى تجمعهم منذ شهرين بكلمة تريد أن تعلن بها الى جمهور القارئين صدور هذا الديوان منذ دفع الى لا كتب عنه كلمة فى « مجلة الكواكب » - وقد أهداه صاحبه اليها - لكن تقدمته آراء أدين بها ، وأحب أن يدين بها شعراؤنا وكتابنا بين يدي زماننا هذا ؛ ولكن التواني فى إخراج الفكرة حين ولادتها وحرارتها ، طالما جر الى موتها ونسيانها ونحود دواعيها ، وهذا ما حدث لى بشأن الكلام عن هذا الديوان .

يبد أن كلمة الاستاذ الكبير عبد الوهاب عزام ، عن هذا الديوان فى عدد مضى من الرسالة قد جددت فى نفسى حرارة الافكار التى فى مقدمته ، مما تقاضانى أن أسرع الى الكتابة عنها .

ولئن كانت كلمة الدكتور عزام كافية فى إعطاء القارى صورة عن وطنية صاحب « الاعاصير » وعروبيته وتساميه ... الخ فانى أرى جمهور قراء الرسالة بحاجة الى أن يعلن اليهم عن الافكار التى فى مقدمته الثرية ، فان فيها دعوات ثائرة ، من العار ألا يتردد صداه فى نوادى الادب فى الشرق البعيد وسط عصر الجهاد والقضاء والزلازل ! وليس من الانصاف للذى هتف بها على بعد الدار ونأى الشقة ، أن نمر بها كما نمر بأية فكرة أدبية ، فاننا نعتد ذلك عقوقاً لهذه النفس البرية التى لم تضرب عينها خوالب الدنيا الجديدة ولم تشغلها عن النظرة الراضية الآسية للوطن الاول ...

وعجيب أن يكون القلب الخافق بهذه الوجعة ، والبوق الهاثف بأصواتها التى سيسمعاها القارى خلال ما تفلح من السطور ، نزىل ديار فاتنة بأفامين حياتها وحررتها ، مما يجر الى نسيان الوطن الاول . بينما نجد الكثرة الراقدة بين فكي الحوادث ، وتحت مناسمها من

ووضعت فكرته بواسطة الفنانين المصريين (١) ومن جهة اخرى فان تأثير مصر فى آراء البشر وافكارهم ليس أقل شأننا من تأثيرها فى عالم الفنون ، وسجلاتها تعتبر أقدم كنز فى تاريخ الانسانية بأجمعها . وحينما بدأت مصر تسترعى انتباه الغرب كان شارحو مدنياتها هم رجال اللغة والمؤرخون . وأما قيمة آثارها ، وسانيتها من معان ، فكانت من الاشياء التى تكاد لا تعرف . وقد حلت رموز الكتابة الهيروغليفية وقرئت . ولكن ما كان عندنا من تعصب موروث من ثقافتنا القديمة وتفكيرنا الحديث ، عاقا عن أن نقدر فنا كهذا الفن ، كل ما فيه غريب علينا . ولقد كان حتما على عالم الفنون أن يجاهد زمنا طويلا ، كي يتخلص من برائن الفكرة الاغريقية ، ويقترب من آثار الفراعنة الدبعة ، ويلقى عليها نظرة بريئة خالية من التحيز .

واليك كلمة اخرى للاميرة بيسكو (Princess Bibesco) وقد يذكر القراء اسم سموها حيث تردد ذكره فى مؤتمر الطيران الذى عقد بمصر اخيرا . وهى عقيلة رئيس المؤتمر - فى رسالة لها بعنوان « يوم مصر » (Jour d'Egypte) إذ قالت عند ذكرها للعمود المزمارى فى مقبرة الذى سبق الكلام عنه :

« لقد وجدت مهد الفن الاغريق . فان « إحتب » وهو مهندس الملك « زوسر » أول من استعمل الحجارة الرملية فى مصر . وجاء بين كتابات المصريين القدماء أن هذا الفنان رفع الى صفوف الآلهة لقيامه ببناء الهياكل . وليس هناك ما يدعو للدهشة فى ذلك ، لان عليها مسحة قدسية ، ولائها أجل بكثير من تلك المشاهدة فى الاكروبول ، التى تصاحبها وقد تفوقها من أنها أتم تهديبا . ويرجع تاريخ هذه الاعمدة المصرية الى ما قبل « قدياس » بتلاتين قرنا . « وأنى لاحتس ، عندما أنظر اليها ، بذلك الصلف الذى كان يركب رموس من سبقونا . وهامصر قد فازت أخيرا بقصب سبق . أما هؤلاء الذين تمجذوا للفن الاغريق ضد الفن المصرى ، فيجب أن يخفضوا رموسهم من الحزى بعد استكشاف اعمدة مصر (يتبع)

احمد يوسف

بالنسخ المصري

(١) كان نوع هذا العمود منسوبا الى الاغريق — Doric Column — على أنه من ابتكار ثقافتهم حتى استكشف أخيرا فى مقبرة بواسطة الرحوم المستر سيسيل فورت . وظهر أنه من ابتكار الاميرة الثالثة المصرية